هـــــذا الطوفان . . !

للأديب الطاهر أحمـــد مكى

كنا جماعة ، وكان الحديث عن الأدب ... تقلب الرأى فى طغيان الأدب الرخيص على العالى ، وعدوان العامية على العربية ، واحتلال المجلات الهزلية لعقول الناشئة ، والصحف اليومية لجمهور المثقفين ... وبقاء أدوات الفن الرفيع من مجلات وكتب ، محصورة فى دائرة ضيقة من الذيوع والانتشار ! لأنها لا تتمشى من الغرائز ، ولا تخضع لرأى العامة ، ولا تهبط لمستوى الدهماء ، ولا تستجلب رضا القراء ، بصورة عارية ، أو مقال مثير ! . .

وقد فرغت العجوز من قيئها فخيل إليه أنه مس بحذائه هذا القيء بعد أن فطن إلى أنها كانت تقيء فكأنما نزلت به صاعقة من السماء ، ونظرتُ فاذا صفرة كصفرة الموت تمشى فى محياه وإذ العرق يلتمع فى جبينه ونظر إلى الناس لهفان كأنما يستنجدهم ، ولبث فى مكانه لحظة لا يدرى ما ذا يفعل ، ثم مر قريباً منه « تاكسى » فاستوقفه ومد يده نخلع حذاءه وجوربه فى حذر بحيث لا يمس إلا وجهه ، ثم مشى حافياً ودخل السيارة وانطلق وترك الحذاء الجميل والجورب الثمين حيث كان يقف ولم يلتفت إليه لفتة كأنما يخشى حتى مجرد منظره !

وكم كان يبعث على الضحك منظر السابلة بعد ذلك إذ يلقون نظراتهم على هذا الحذاء فى تعجب وهم لا يعلمون لم ألقى به هناك وبما ذا يفسر وجوده ، وكان يمشى بعضهم فى سكون ودهشة بينما كان يستفهم البعض أحد الواقفين ، واجتمع عدد من الخلق فمنهم من ينظر إلى العجوز ومنهم من ينظر إلى الحذاء ، واختلط الأمر على الناس حتى لقد سمعت من كانوا فى مؤخرة الزحمة يقول إنها قتيلة ! ووثق بعضهم من الأمر فراح يصف طولها وحجمها وشكلها ! وهكذا ينقلب الحذاء الجميل الهادىء إلى نوع مفزع من من المفرقعات !..

وذكرت ليلة الأمس ومبلغ خوف ابن عمي ، وحرت بين البطلين أيهما أولى بالرثاء ، أهو ابن العم أم هو صاحب الحذاء ؟

الخفيف

والناس اليوم فى انحلال خلق ، مصدره قسوة الحرمان فى أيام الحرب وأعقاب الحرب ، واستهتار جنسى مبعثه إطلاق العنان للغرائز ، واستسلام الفتيان للشهوات وتسرب الإباحية إلى العقول واندفاع الصحف التى همها أن تربح عن أى طريق ، وأن تعيش بأى أسلوب ، فى ممالأة هذا اللون من الحياة !

طالع ما تشاء من صحف اليوم ، واقرأ ما تهوى من كتبه ، فلن تجد للعربية فى بلاغتها وروعتها أثراً ولن تشعر بالنعمة الروحية السامية ، التى تطرب لها حين تلتمس القراءة ، فى كتاب قديم ، أو سفر حديث ، من إنتاج أولئك النفر القليل ، من كتاب العربية الأفاضل ، ممن صمدوا أمام التيار ، فلم يجذبهم بريق الذهب اللامع ، ولم يجرفهم تيار المادة الخادع ، فظلوا كما هم ، وكما شاء لهم إيمانهم بالفن ورسالته ، أوفياء بالعهد ، حفظاء للرسالة ، ولو كره الجاهلون وأنصاف المتعلمين !..

إن المطابع قد أغرقت السوق بطوفان من الكتب ، جلها غثيث تافه لأن صاحبه طالب شهرة ، لا يمنيه إلا أن يطبع اسمه فى مكان بارز من غلاف الكتاب ، وسيان لديه أن يرحب به الناس أو يغضبوا عليه مادام قد بلغ الغاية التى سعى إليها ، فأقحم شخصه فى زمرة المؤلفين ! .

وتجاريين تخصصوا فى اقتناص المال من الجيوب ، بالحيلة الواسعة ، والدهاء الماكر ، وحذقوا فن التلصص وأساليبه ، وكان أن لمسوا مركب النقص فى الحياة المصرية ، وما تعانيه الشبيبة من حرمان وكبت ، فطفقوا يغرقون الأنظار بطوفان من الصور العارية ، ويؤججون الشهوات بأبحاث عن الرذيلة الفاتنة ، ومن ثم كتب لهم النجاح ، وإن يكن ثمنه ، فساد ضمائر الشباب ، وإهدار عفاف الفتيات !..

محال أن يوقف هذا الفيض من الانحلال ، أقراد قلائل أو صحف محدودة الذيوع والانتشار ، فعلى الذين يملكون التشريع والتنفيذ ، وقد استعملوهما فى كل ما يتصل بماديات الحياة ، أن يعطوا الناحية الروحية بعض العناية ، فنحفظ للغتنا سموها ، ولأدبنا روعته ، ولأخلاقنا جمالها ، فنسدى بذلك للعربية ، فضلا لا ينكر ولا يجحد !..

الطاهر أحمد مكى